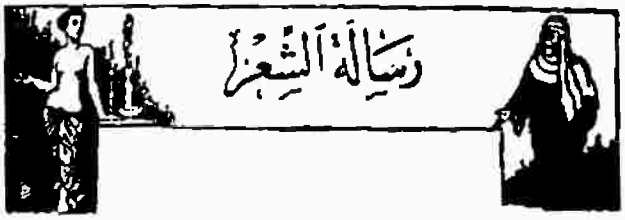

في ليلة عيد . .

كثيراً ما يسألني القارئ قصة شعره من أين أجيء بها وبمعانيه . ولكني — في هذا الذي بين يديك — كنت في غنى عن ذلك . فلقد نقلته من دنيا الواقع ، اذ شهدت نهايته في لبنان ، وعرفت بدايته هناك ... (في البلد الذي تحف به حدائق اللبون) . فقضى شيطان الشعر أن أسرده فتمثلته .

تناهت به سالفات الذكر ... إلى عالم من نعيم غبر
يهيم بأفيائه الوارفات ... وقد أغفلته صروف القدر
فأصباحه مشرقات الصفاء ... وأمساؤه ضاحكات السمر
تسير الهناءة في ركبه ... فيهمل منها بشتى الصور
ويمرح ملء رداء الشباب ... فؤاد خلي وعيش نضر

إذا ذكر الصب عهد الحبيب ... وما ذاق من صده أو رضاه
وحدث عن أمسيات اللقاء ... وجفوة معشوقه إن جفاه!
فتى أم طفلته ما أفاء ... عليه الحبور وبرد الحياه !
وجنبه موبقات اليسار ... وشط به عن مغاني هواه !
فعاش صدوقاً نقي الأزار ... بعيد الأماني فيما ابتغاه

وكر الزمان وئيد الخطى ... وطفلته شغله الشاغلُ
يفيض عليها ضروب النعيم ... ويغمرها عطفه الشاملُ
فتعبر دنيا صباها النزير ... ويبرحها عهده الآملُ
وتقبل في خطوات الشباب ... كظبي تأثرَّه الحابلُ
تميس ببرد جمال مهب ... يسانده خلق كامل ..

ومرت خطوب تشيب الوليد ... بما حل من هولها المفزع
فيوم حصار كيوم الوعيد ... أقضوا به ساكن المهجع
ويوما يساق أباة الرجال ... إلى محشر دافق مترع
فمنهم أذاقوه مر العذاب ... ومنهم تولى فلم يرجع
ومن قام يتلو نشيد السلام ... أفاق على نغم المدافع

وأقبل يوم كئيب الصباح ... بغيض المحيا لما جاء فيه !
فشيخ يعض على راحتيه ... ويندب في القوم صرعى بنيه
وطفل بدا هدفاً للرصاص ... فخر — على مشهد من أبيه
وقوم حيارى أضلوا السبيل ... فكل أخ ذاهل عن أخيه
مضى يبتهم ليس يدري المصير ... إلى هدف لم يكن يبتغيه ..

وفي أرض لبنان — بعد العناء ... وطول السرى — كان غب المسير
تناجيه (ليلى) — غداة استقر ... أحلفت أمي وما من نصير ؟
فيمضي يعللها بالمنى ... إذا أردفت : أين صوت الصفير !
غداً يا ابنتي الجحفل اليعربي ... يذيق أعاديك سوء النكير !
غداً يجمع الشمل بعد الشتات ... متى انقض جيش (العزيز) المغير

وتغمض إغماضة المطمئن ... وتغفو على الأمل المشرق
صباح غد هو عيد الأضاحي ... فكيف يطل ولم يأتلق !
ولم تك تعلم أن الزمان ... يداهم بالحادث المطبق !
وان أباها حليف الطوى ... يبيت من الهم في مأزق !
وان البلاد انتهت للمدو .. ... بكيد امرئ قط لم يتق ..

مواكب شتى من الذكريات ... تعيد له الصور الدامية
توالت عليه إزاء الغروب ... فكانت هي الظلمة الثانية !
لقد حطم اليأس آماله ... فخلفها مزقاً باليـــة
وأمحى عليه الضنى ما استطاع ... بقبضة ســورته الماتية
فخر على وجهه للثرى ... وأسلم أنفاسه الواهية ..

فيالك عيداً تكالب فيه ... عديد من المحن القاصمة !
فأصبح يجمع أشتاتها ... لتحدق بالنادة الناعمة !
فيا ليته امتد هذا الرقاد ... وظلت بآفاقه حالمة !
متى قاومت عاصفات الرياح ... وطغيانها الزهرة الناعمة !
هو الدهر أسلمها للهوان ... فآثرت الطمنة الحاسمة ..

ومتع بالعيد أصحابه ... وإن وسدوا الهالكين الثرى !
أما رددوا — إن قضى لاجئ ... (لقد باع أرطانه فاشترى) !
فيا أيها الشعب حتى متى ... يضللك الخصم فيما افترى !
تدبر أمورك قبل الضياع ... فها هو ذا الملح قد دوى !
وبادر عـــدوك في وكره ... وإلا ارتقب يومك الأعبرا

محمد سليم الرشدان